

قراءة تحليلية

لمبادرة الملك عبد الله بن عبد العزيز للحوار العالمي
ودورها في إشاعة التفاهم والحوار بين أتباع الأديان والثقافات ، ونشر السلام
في العالم

بقلم معالي الأستاذ الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي

الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي

تعكس الدراسات الحديثة والمتزايدة في مجال العلاقات الدولية اهتماماً واضحاً بتيار البناء الاجتماعي ؛ الذي بدأ في الظهور منافساً معتبراً للمدرستين السائدتين : الواقعية والليبرالية الجديتين . ففي الوقت الذي تميل فيه كل منهما إلى التركيز على العوامل المادية، فإن مدخل البناء الاجتماعي في تحليل العلاقات الدولية يركز على أثر الدين والثقافة والقيم والأفكار فيها، ويشير إلى أن هناك تزايداً للمقاييس الحضارية للأمم في تحديد هوياتها ومصالحها وتكتلاتها .

وإن مقارنة أولية للمفاهيم الحضارية المدنية في المجتمعات الحضارية - سواء كانت من أتباع الديانات ، أو الثقافات الإنسانية - تبرز قيماً ومشاركات مهمة ، يمكن في ضوءها تغليب جانب التعاون - فيما بينها - على جانب الصراع ، والإسهام بفعالية في التأثير على مجموعة من التوترات في العالم أجمع .

ومع اقتراب العالم من القرن الحادي والعشرين ، تنبه بعض قادة الأمة وعقلائها ومفكرها إلى ضرورة الوقوف أمام التحديات التي تواجه البشرية لما تعانيه من أزمات أصبحت تسري في معظم

المجتمعات الإنسانية ، جراء إقصاء الدين عن كثير من مناحي الحياة المختلفة .

ومن هذه المنطلقات ، واستشعاراً بالمسؤولية ، وإدراكاً لحجم المعاناة البشرية للمخاطر التي تتهددها في حاضرها ومستقبلها ، وإيماناً بإمكانية أن يصبح الحوار وسيلة لتقليل المخاوف من التنوع ، وأن يكون بمثابة أداة للكفاح المستمر ضد الإرهاب ؛ تجيء مبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود - حفظه الله - الرائدة للحوار العالمي ، والتي جسدت فيها تطوع العالم الإسلامي إلى السلام ، وأهداف الأمم المتحدة لحل الخلافات والنزاعات الدولية بالطرق السلمية . فعهد إلى رابطة العالم الإسلامي كونها منظمة إسلامية عالمية شعبية ، تنظيم المؤتمرات والاجتماعات التي توّطر لعملية الحوار ، وتجعله واقعاً عملياً بين أصحاب الحضارات والثقافات الإنسانية ؛ فقامت بدعوة ورعاية منه - رعاه الله - بتنظيم المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار في (مكة المكرمة) ، في الفترة من : ٥/٣٠ - ١٤٢٩/٦/٢ هـ ، الموافقة : ٤-٦/٦/٢٠٠٩ م . والمؤتمر العالمي للحوار في (مدريد) في الفترة من : ١٣-١٥/٧/١٤٢٩ هـ ، الموافقة : ١٦-١٨/٧/٢٠٠٨ م .

وإن ما أظهرته المؤتمرات والمناشط من أن الأمم المتحدة تظل المقر الطبيعي للحوار فيما بين الحضارات والثقافات ؛ وهي المنتدى الذي يمكن أن يزدهر فيه الحوار ويؤتي ثماره في كل ميدان من ميادين العمل الإنساني ، فقد دعا الملك عبدالله الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى عقد اجتماع رفيع المستوى على مستوى الزعماء وممثلي

الحكومات لمختلف دول العالم؛ للتأكيد على أهمية الحوار بين أتباع الأديان والثقافات والحضارات المعتمدة وفقاً لمؤتمر مدريد .

* الظروف العامة لطرح المبادرة الملكية :

للظروف التاريخية التي صدرت فيها المبادرة الملكية أهمية كبيرة في تحليل مضامينها ، وهنا تكمن ضرورة ربط المبادرة الملكية بالظروف التي انبثقت منها ؛ لمعرفة أثرها في إشاعة التفاهم والحوار بين أتباع الأديان والثقافات ونشر السلام في العالم :

١ - أهمية الدين في حياة الإنسان :

الدين حقيقة ملازمة للوجود الإنساني ، ووجوده حاسم في الثقافات والحضارات والانعطافات التاريخية الكبرى .

ففي الوقت الذي يشهد فيه العالم ثورة علمية ومعرفية هائلة ، فإن الناظر إلى حال العالم اليوم يلحظ عودة قوية للدين ، لا تسعى إلى التعبير عن الحاجات الروحية لدى الإنسان فحسب ؛ بل كمقوم أساسي في الحضارة الإنسانية المعاصرة ، يتفاعل مع الواقع الأخلاقي والاجتماعي والثقافي والبيئي لمختلف المجتمعات الإنسانية المعاصرة .

وهذه العودة للدين نابعة من صميم الواقع التاريخي الإنساني، ولا يمكن النظر إليها كحالة مؤقتة قابلة للتراجع في كل لحظة .

والهوية الدينية تشكل عاملاً سيؤثر في العلاقات الدولية ، ويعتبرها العديد من الاستراتيجيين من أقوى التأثيرات المحركة للشعوب والصراعات . والدين أصبح يُقدم نفسه كبديل قادر على تشخيص الأسباب العميقة لهذه الأزمة وإيجاد الحلول لها .

٢ - «صدام الحضارات» :

لقد كان لأطروحة «صدام الحضارات» لهنتنغتون صدىً قوي منذ نشرها عام ١٩٩٣م . ومنذ وقوع أحداث ١١/٩/٢٠٠١م ؛ أصبح خطابها حاضراً بقوة على مختلف المستويات . ويمكن اعتبارها تجسيداً حياً للأفق الاستراتيجي الذي ولّدمع نهاية الحرب الباردة ، فهي تحاول أن تطرح نفسها كتصور جديد لاتجاه سير الأحداث في المستقبل، وتزعم امتلاكها قوة تفسيرية وتحليلية لملامح مرحلة جديدة في العلاقات الدولية .

يعتقد هنتنغتون أن الدين هو العامل الأكثر تمييزاً وفصلاً بين الناس . وقد ركز هنتنغتون بشكل لافت على حتمية الصدام الحضاري بين «الإسلام» و«الغرب» ، وأنه سيكون أكثر الصراعات حدة ودموية بفعل عوامل عدة . وهو يركز بشكل أساسي على الديمغرافية الزاحفة للعالم الإسلامي، والتي يعتبرها أحد المصادر الرئيسية للنزاعات في العالم، وأن الصراع بين الحضارات يتفاوت في حدته ، إلا أن التصادم بين الحضارة الإسلامية وباقي الحضارات يتسم بالعنف والدموية .

٣ - الإسلاموفوبيا في الغرب :

وهو خوف مرضي جماعي وغير عقلاني يحفز على الكراهية من الإسلام . فمع تفكك الاتحاد السوفياتي صار الغرب يبحث عن عدو خارجي آخر ، فوجده في الإسلام ، باعتباره بزعمه موسوماً بالانغلاق والإرهاب ، ومهدداً لمنجزات ومصالح الحضارة الغربية ، وصار ذلك رأياً عاماً غربياً خدمته وسائل الإعلام ومراكز البحث ، وشحنته بفكرة الخوف من الإسلام وكراهيته ، فأصبحت العقود الأخيرة تشهد وعياً ممنهجاً معادياً للإسلام بشكل متزايد .

إن استشعار خادم الحرمين الشريفين - وفقه الله - للظروف التاريخية وواقع السياسة الدولية ، وأنها فيما إذا استمرت على حالها ستنتج مزيداً من الاختلالات ، يمكن أن تجر العالم إلى مأس خطيرة ، ومبادرته بالدعوة إلى الحوار الحضاري ، وتفعيل التفاهم بين الثقافات ، يصب بشكل مباشر في البحث عن أفضل السبل لنشر قيم التسامح والحق في الاختلافات داخل المجتمعات وفي ما بينها ، بحيث تصبح الثقافات مؤثرة في النهوض الاجتماعي ، وحافزاً على التنمية ، وترسيخ القيم المشتركة . فواقع العولمة وتزايد الاحتكاكات والتفاعلات الثقافية بين مختلف الأفراد والشعوب بسبب ثورة الاتصالات وتزايد حركات الهجرة ؛ أصبح يفرض على مختلف المجتمعات الإنسانية تعلم التعايش السلمي على المستوى الديني والثقافي بين مختلف الأفراد ، والجماعات والشعوب .

لقد أرسيت المبادرة الملكية مجموعة من المبادئ الأساسية للحوار ، ما يمكن اعتباره إسهاماً عملياً جديداً في العلاقات الدولية ، يسير

باتجاه خلق أجواء الحوار والتعاون بين المسلمين وأتباع الديانات والثقافات . ويمكن إجمالها في النقاط التالية :

- ١- دعوة أمم العالم وشعوبه ومؤسساته إلى الحوار ونبذ العنف .
 - ٢- توجيه رسالة إلى العالم باسم الأمة الإسلامية :
* بأن يستوعب آفاق رسالة الإسلام الخيرة دون عداوة واستعداد ،
وأنها صوت عدل ، وقيم إنسانية أخلاقية ، وصوت تعايش وحوار
عادل وعادل .
 - * بأن الإسلام دين الاعتدال والوسطية والتسامح ، ويدعو إلى الحوار
البناء .
 - ٣- الطريق إلى الآخرين سيكون من خلال القيم المشتركة التي دعت
إليها الرسالات الإلهية من ترسيخ الأخلاق الفاضلة وغرس القيم
الإنسانية السامية ، وتعزيز مفاهيم الأسرة وقيمها.
 - ٤- المخرج الأقوى والأهم لما تعانيه البشرية اليوم من ضياع القيم
والتباس المفاهيم ، وتفشي الجرائم والمخدرات ، وتنامي الإرهاب ،
وتفكك الأسرة ، إنما يكون عبر الحوار بين الأديان والحضارات ،
لأنها كلها نتائج للفراغ الروحي الذي يعاني منه الناس اليوم .
- لقد أعطت المبادرة الملكية الحوار بين الحضارات زخماً عالمياً ،
وجعلته مطلباً حيويًا ملحاً لدى مختلف الشعوب لتحقيق التعايش
الإيجابي ، وتحويل الثقافات إلى أدوات تسهم في تحقيق التنمية ،
وصار الالتقاء بين عقلاء الأمم هو السبيل الأنجع للوقوف على نقاط
الالتقاء ، والسعي لاستثمارها ، وتطويرها ، وصياغة برامج عمل

مشتركة ، ليس نحو ثقافة معولمة موحدة ، يكون هدفها محو الثقافات ، واعتبار إيجاد مشتركات فيما بينها أمراً بالغ الصعوبة، وإنما في اتجاه التوصل إلى مشتركات حضارية تحوي مجموعة قيم مدنية وإنسانية مشتركة ، تراعي جانب الخصوصيات الدينية والثقافية للحضارات المختلفة .

إن المبادرة الملكية للحوار بهذه المعاني تلتقي مع أهداف الأمم المتحدة لحل الخلافات والنزاعات بالطرق السلمية . وتشير إلى أن التشجيع الفعلي لثقافة تقوم على السلام والحوار بين الحضارات ، يشكل قيمة لازمة للعلاقات الدولية في القرن الحادي والعشرين ، ومجهود دائم للبحث عما يحقق السلم والأمن الدوليين .